قراءة في المجموعة القصصية للقاصة حنان رحيمي

تصّر الشاعرة والروائية العربية اللبنانية حنان رحيمي على توظيف كل ما تنتجه لملامسة وجع الإنسان فهي تنطلق من الواقع وتعود إليه في حركة دائبة ومحسوبة بدقة، وهنا يجدر القول أن المدرسة القصصية التي اشتغلت عليها «رحيمي «هي المدرسة الواقعية وعلى هذا لابد أولا بالتعريف بتاريخية نشوء هذا المنهج في القص وماهية الأدب الواقعي فنقول:

«الواقعية هي تصويرٌ مبدعٌ للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما، مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلاتٍ مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعيّ المألوف. وهو واقعٌ لا يشترط فيه الأمانة والصّدق في النسخ بل كلّ ما يشترط فيه «الصدق الفنيّ» وبهذا يتحوّل الكاتب إلى فنانٍ مبدع لا إلى نسَّاخ، أو كاتب تقرير...، وانطلاقا من هذا التعريف المبسط للواقعية يتضح جليا من خلال استعراض كل ما انتجته القاصة رحيمي وخصوصا مجموعتها القصصية الأخيرة الموسومة «الانتحاري

والفول «والتي صدرت عن دار النخبة في القاهرة المعمورة بطبعة أنيقة واهتمام بالغ يواكب أهمية مضامين القصص التي وردت وهي تشكل صرخات عالية من الواقع فقد جاءت القصص تحت العناوين التالية:

1 – محبرة الغربة

2 – الساحرة

3 – التوأم واللعبة

4 – الكرسي الأخير

5 – زهرة الحياة

6 – عيد السماء

7 – الانتحاري والفول

8 – بائع روحه

9 – للمنابر أيضا مجازر

أقول: أن عنوان المجموعة مثل صعقة الاتصال لما فيه من مفارقة لفظية انعكست على إدهاش المتلقي فما علاقة «الفول بالانتحاري؟»، فالاستعارة هنا عالية ومكشوفة، بل ضاجة بالاستفهامات التي تخلفها في ذهن القاري وهذا أول الالتفاتات الذكية للقاصة فقد اختارت حنان رحيمي العنوان الذي يمثل «ثريا السرد» لإحدى أبرز وأهم القصص

الساخنة التي تتحدث عن واقع اليوم بما يفوق الواقع في البنية السردية وفي السياق وهذا ما يحسب للقاصة بأنها تعاملت مع الواقع كحوادث ناطقة وطبقت عليه قواعد القصة الناجحة من حسن سبك للجمل مع وحدة الخطاب ونضوجه، وعليه فقد شكلت العنوان بصيغة فنية، وجعلت منه تشاركاً حقيقياً ينطوي على طاقة معنى متنوع ومختلف وغير متوقف، وهذه سمة جوهرية في العنوان الذي استطاع أن يوثق علاقة واضحة بين سردية القصة والملمح الشعري الذي بدى واضحا كتضمينات غير مرئية يرصدها القارئ الحاذق .

وهنا أود القول أن حنان رحيمي أسست لأول الوشائج مع المتلقي من خلال دقة اختيار العنوان العام،، وبالأكيد ستكون نتائج التلقي فيما بعد العنوان مضمونة لشريحة كبيرة من القراء والمهتمين بمعنى تمكنت القاصة من فتح أول قناة مع جمهورها بداية بالعنوان .

ووفقا لوجهة نظري كمتلقي أجد أن النجاح في إيصال الرسالة هو بلا شك نجاح الخطاب والمخاطب بكسر الطاء، فوظيفة فأولى وظائف الأدب بكل أنواعه التخفيف عن الإنسان وإسعاده ومشاركته الألم .ومع تسارع وقع الحياة شعرت القاصة بضرورة إعفاء المتلقي من فك شفرات العتبة الأولى، فوردت مفردتين غائرتين الى العمق بشفافية «الإرهابي» مصطلح حديث لكنه شاع في كل العالم وعرفت

صفاته والغموض البسيط في مفردة «الفول» لكن الربط ليس عسيرا فبمجرد متابعة القصة سيتضح كل شيء .

ولكن ما يجب التأكيد عليه أن ما تعنيه العلامات اللسانية كما جاء في السيميائية دائماً بأن العلامات التي صاغت العنوان، تكونت من عتبة سردية فيها من الإدهاش القصدي .

و الانزياح الواضحة .أما ضوابط القصة وأركـان القص فقد جاءت متكاملة في جميع النصوص بخطوط بيانية تصاعدية عملت على تحقيق حالة من الشد للمتلقي لمتابعة إتمام النص، ومن خلال استعراضنا لواحدة من قصص المجموعة وهي «الانتحاري والفول» نبين ذلك التكامل للأركان:

أولا: أسلوب بنائية الحدث:

يعد الحدث أهم عنصر في القصة القصيرة، ففيه تنمو المواقف، وتتحرك الشخصيات، وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله[1]. يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها، ولا تتحقق

وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان، والسبب الذي قام من أجله. كما يتطلب من الكاتب اهتماماً كبيراً بالفاعل والفعل لأن الحدث هو خلاصة هذين العنصرين[2].

(1) د. عزيزة مريدن: القصة والرواية – نشر دار الفكر – دمشق 1980م – ص25.
(2) د. رشاد رشدي: فن القصة القصيرة(ط2)، ص30 .

وفي قصة الانتحاري والفول فإن الحدث هو «صانع الموت» و«التطرف الديني» و«مدارس غسيل الأدمغة» ظاهرة لا تخفى على أحد كيف يساق الصبيان والفقراء ليخلعوا قناعاتهم تحت تأثير أفكار الإرهاب وهنا فالحدث يتوزع على خريطة الوطن العربي كلها قد يكون مكانه احدي الدول العربية «لبنان، سوريا، العراق، ليبيا، مصر ...) أما الزمان فهو نكوص العرب واضمحلال قوتهم وشيوع ثقافة الربيع الأسود، وهنا لابد من المقاربة لهذا العنصر من ذات القصة تقول القاصة:

«نظر إليه القائد نظرة ماكرة.. مزهواً بنفسه وبنجاحه بتنفيذ ما طلب منه على أكمل وجه، وبما ينتظره من مكافأة كبيرة على عمله قائلا: لقد تم الأمر يا سيدي.. العملية تكللت بالنجاح الباهر.. وشفي هذا الأبله من كل ما يربطه بالدنيا»[1] ..

بداية الحدث القصصي تنبئ وبشكل مرمز تشم منها رائحة الموت «وشفي من كل ما يربطه بالدنيا «نعم هو الموت ولكن يظل السؤال بأي طريقة وكيف وما نوع هذا الموت هذا ما يشكله مسار الحدث تصاعديا، هي عملية الكشف المتواصل خلال سلسلة الأحداث المتعاقبة . ولنعد للعناصر المكان مازال مبهم الزمان الماضي الفعل الموت والفاعل ضحية من ضحايا الفكر الاقناعي ألتغيبي أذا صح التعبير .

---

(1) حنان رحيمي، الانتحاري والفول مجموعة قصصية، ط1، دار النخبة، القاهرة، 2017، ص114

ويصبح الأمر أكثر وضوحا وعملية الكشف توضح المعالم الرئيسية للفاعلين في هذا الحدث تقول:

قال الأمير ويده تداعب لحيته الطويلة التي تلهو الشياطين بينً شعيراتها، مبتهجا بما سيناله من ثقة الجهة التي أوكلت إليه مهمة تنفيذً مخططاتها الإرهابية: هل استئصلتم الدماغ جيدا.. إياكم أن تكونواً تركتم أثرا قد يعود من خلاله إلى تشغيل عقله.

يبدو من خلال هذا الحوار أن هناك شخصيات قصصية كثيرة اتضح منها «الأمير، مساعده، الضحية، وآخرين، وهذا ما يكشف عنه قوله لمساعده «هل استأصلتم الدماغ جيدا «إذن هي كناية عن غسيل الدماغ وليس القصد المعنى الظاهر للإزالة، عليه فإن بناء الحدث يتم بطريقة علمية مدروسة من خلال تنامي البناء بتناسق وحداته وتأديته للقصد بأسلوب يسير تهيمن عليه إمكانية كبيرة في إدارة الخطاب السردي مع قدرة في الإمساك بالمخاطب (المتلقي) ومحاولة إغرائه بالمتابعة.

وقد استخدمت القاصة بناء الحدث وفق طريقة السَّرد المباشر إذ قدمت في صيغة ضمير الغائب، (إليه) ضمير (الأبله) كذلك ضمير للغائب فلا يعرف من ذلك الذي أكل الطعم فخرج عن الحياة بقناعته.

ولنذهب إلى ركن آخر من أركان القص ونتابع القصة ذاتها التي تشكل منها العنوان وهو «الحبكة «أو ما نطلق عليه تسلسل الحدث

بسببية وتناسق الصراع الوجداني ومدى توفر عنصر الدهشة وتحقق عامل المفاجأة ولنأخذ هذا المقطع السردي:

تعال يا سيدي وشاهد بنفسك.. ها هو «الأخ» الجديد واسمه سعيد الذي يجلس تحت الشجرة، انظر إلى ظهره كيف احدودب من الإيمان المزعوم.. بعد قليل ستتلمس النتيجة المذهلة، إنه ولد طري العود، لمً يأخذ معنا وقتاً طويلا لتدجينه.

جاء الحدث متسلسلا متماسكا وتحقق فيه جانب الإدهاش من خلال ترابط الأبنية المكونة للجملة «تعال يا سيدي وشاهد بنفسك «فعل أمر مشفوع بالاستعطاف والتذلل

«**شاهد بنفسك**» دعوة لمشاهدة نجاحه في التكليف.

و «ها هو الأخ» أسلوب قلب وتلاعب بالمعنى فالأخ هو الضحية الذي سيفجر نفسه . وهنا تحققت مفارقة معنوية قادت إلى الإدهاش .

أقول ان قواعد الحبكة تحققت تباعا كلما أوغل المتلقي في متابعة تطور الحدث وتتابع وانسجام الخطوات المتصلة مع بعضها وصولا للهدف .

ولنغادر الحوارات التي اتسمت بدقة التصوير ودراية تامة بالأساليب التي يمارسها المتطرفين في استغفال واستحمار الإنسان والوصول به على البهيمية وتعطيل كل حواسه الإنسانية ومن ثم تسخيره كالآلة

الصماء لتنفيذ رغباتهم في الإمعان في القتل ولنمر على عقدة «التأزم «التي أوصلتنا لها القاصة بذكاء نادر ومقدرة على جعلنا نعيش الأجواء وكأننا نتابع عملا سينمائيا كتلك الأعمال التي جسدت الأساليب الخبيثة للإرهابيين ودعواتهم الفاسدة . وهذه في نظرنا العقدة في القصة:

«بعد موجة تكبير صرخ: أيها الإخوة المجاهدين، هاتوا الأسير.. – فتى في الخامسة عشرة من عمره، مكبل اليدين والقدمين، جرجره عدة رجال، ورموا به على قدمي الأمير..

كان يرتجف من الرعب كمن يمسك بسلك كهربائي.. صدره يخفق وكأن قلبه على وشك الخروج من مكانه.

– قال الأمير وهو يركل الفتى: هذا الولد مسلم ولكنه كفر بإسلامه..

– سمعه الإخوة يسب الله.. استغفرك يا الله..

– صرخ الفتى بكل ما استطاع من قوة، ملأ صوته السماء: يا الله. .يا الله.. أنا بريء.. يا الله ساعدني..كالبرق انقض «الأخ» سعيد طاعناً عنق الفتى، ذابحا في حنجرته كلمة الله.. ارتفع تكبير غطى حشرجات الفتى الذي استمر «الأخ» بطعنه بوحشية لا يمكن أن تجتمع بغابة من الحيوانات الكاسرة..

– قال الأمير وهو مغمض العينين ويداه مرفوعتان إلى السماء بمشهد إلهي: الله أكبر.. الله أكبر.. أرى أمامي الآن فرحة أهل الجنة

يكبرون ويهللون لك أيها «الأخ» العظيم.. أرى الحوريات يتراقصن حولك، الله أكبر»[1].

يقول الدكتور عبد الله خليفة ركيبي ان عقدة القصة أو التأزم (هي «تشابك الحدث وتتابعه حتى يبلغ الذروة»[2]، أما يوسف الشاروني فقال إنها((تتابع زمني، يربط بينه معنى السببية))[3]، ثم ذكر أن عقدة القصة الجيدة، يجب أن تجيب عن هذين السؤالين: وماذا بعد، ولماذا؟، إن الفرق بين الحكاية القصصية البسيطة، وبين القصة القصيرة، أن الأولى تكتفي بالإجابة عن السؤال، وماذا بعد؟ في حين أن عقدة القصة القصيرة تجيب على السؤالين معاً وماذا بعد؟ ولماذا؟ ويشترط في العقدة أن تتضمن صراعاً قدرياً، أو ناتجاً عن ظروف اجتماعية أو صراعاً يقوم بين الشخصيات الموظفة، أو صراعاً نفسياً يدور في داخل الشخصيات.

وبناءاً على ذلك فقد وصلت بنا القاصة للذروة او العقدة أو لحظة التأزم والصراع النفسي والذاتي للأشخاص ووصولهم الى ما يشبه الفراغ الذهني وتحول الفتى المشار اليه الى وحش كاسر بقناعة تامة ولو كان ذلك يعقبه موته لقد نفذ وهو مغيب عقليا تماما ومستلب بصورة تترجم لنا ما يصل اليه الإرهابي من قناعة بما يفعل .

---

(1) المصدر نفسه، ص114

(2) الانتحاري والفول، ص119

(3) د. عبد الله خليفة ركيبي: القصة الجزائرية القصيرة – ص152 .

أن العقدة بشكل عام لم تعد من عناصر القصة الهامة وربما في هذا غلو، فمع تطور فن القصة فإن عنصر العقدة لا يزال أداة قوية لتشكيل لحظة تأزم داخل النص، يتابعها القارئ بشوق من أجل حل الإبهام الذي يحيط بها محققاً بذلك لذة جمالية. وهذا وجدناه بلا أدنى شك في النص أعلاه فبعد مسيرة من التدريب وغسيل تام للدماغ وصل الفتى إلى قناعة وإيمان مطلق بالأمير ومساعد الأمير ومن يقف خلف الأمير هذا يعني الالتزام بكل ما يصدر عن الأمير كأنه رب الفتى المشار اليه وهي حقيقة وواقع .

وبعد الوصول إلى لحظة التأزم لابد من انفراج للأحداث وهو ما يطلق عليه «لحظة التنوير «فبعد أن تتشابك الأحداث القصصية، وتبلغ ذروة التعقيد تتجه نحو انفراج يتضح من خلاله مصير الشخصيات، وقد اعتاد الدارسون أن يطلقوا على هذه المرحلة اسم النهاية، أو لحظة الانفراج.

لكونها جزءاً أساسياً من صلب القصة فهي مرتبطة ارتباطاً عضوياً ببدايتها حتى لا يتفكك نسيج القصة ولا بناؤها، لأن تطور الحدث ضروري في دفع مجراها إلى هذه النهاية التي تحدد معنى الحدث، وتكشف عن دوافعه وحوافزه. ولأنها تكون مجمعاً للحدث القصصي يتحدد من خلاله المعنى الذي أراد الكاتب أن يعبّر عنه. وهنا لابد من متابعة سير احداث التنوير او الانفراج وتتابعها على شكل سلم نازل نحو النهاية:

فبعد قناعة الإرهابي الانتحاري من تفجير نفسه وسط الكفرة حسب قناعته حمل حزامه وسار نحو الهدف المنشود الذي سيوصله إلى الحور العين والأطعمة الفاخرة وما إلى ذلك مما وعد به الأمير وفي طريق الموت شعر بالجوع فدخل احد مطاعم الفول بانتظار اكتظاظ الناس ليقوم بمهمة حصد أرواحهم تقول القصة...

كان يأكل دون أن يشعر.. ففكره شارد بالشارع يرقب مكانا تكتظ فيه الناس.. حيث ستنطلق روحه منه إلى السماء.. وكيف سيكون لقاؤه بالأولياء والصالحين والشهداء وحور العين الذين ينتظرون استقباله.. شعر بالتخمة، توقفت يده عن رفع آخر لقمة كان يغمسها بما بقي في الصحن من فول.. فجأة صرخ «بالفوال» بأعلى صوته وهو يحدقً في الصحن متقززا:

- ما هذا أيها القذر؟

- ما بك يا هذا؟..

- انظر.. جزء من صرصور في الفول.. اقترب الرجل منه ماسحا يديه بثيابه المتسخة التي لم يعد يعرف لونها الحقيقي.. قائلا دون اكتراث:

- لا عليك لن آخذ منك ثمن الفول.. اذهب في طريقك.

- أيها القذر سأذبحك..

– يا ولدي اتق الله المسامح كريم.. أمس وضعت السم للصراصير والفئران التي تغزو المحل، ويبدو أن هذا الصرصور أفلت من السم وتسلل إلى حلة الفول.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. استغفر الله العظيم.

حققت القاصة في هذا المقطع عدة أهداف وضربت فيه على أكثر من وتر في قيثارة الحياة المتعبة فهي أولا قالت أن الفقر المدقع في بلداننا وتخلف حياة الإنسان وتجويعه يقع على مسؤولية القائمين على تنمية الخرافة والجهل وسلب الناس حقوقهم فجاء نقدا للتوجهات السياسية التي أوصلت صاحب المطعم لهذا المنحدر من الفاقة، ثم هو اشارة لمستوى النظافة السائدة التي جعلت من صاحب المطعم استسهال وجود «الصرصر» في الطعام وبكون الامر حالة عامة، اذن هو إيغال في مفردات الحياة اليومية للمجتمع الفقير.

أما من الجانب الآخر فقد شكل هذا المقطع القصير استهانة بهذا الإرهابي وكأنها تقول:» ومن يجلس في مثل هذا المكان سوى ما سحق من طبقات المجتمع؟» وهو نوع من السخرة السوداء وصرخة بالسائد من الاعراف والتقاليد «السيواجتماعية» في مجتمع تنهكه الصراعات السياسية والدينية وتتجه به ثقافات نحو منحدرات الرذيلة .

فمن بين الأساليب التي تحاول القاصة رحيمي من خلالها الانعتاق من ربقة التقليد والصيغ المسكوكة المتعارف عليها هو ذلك الأسلوب

الساخر الناقم على الأوضاع السائدة وحقيقية ان هذا الاسلوب قد اضفى على المجموعة برمتها قيمة مضافة واضحة من خلال القراءة الاولى، على ان هذه السخرية قد تميزت بالعمق والحرفية، وقد تم بناء المواقف الساخرة في القصة لتشكل حافزا كبيرا للمضي في كشف للمناطق المعتمة داخل المجتمع والتي لايرغب التطرق اليها البعض بمعنى «المطعم، الاوساخ التي جللت ثياب صاحب المطعم، الصراصير الميتة، استسهال الامر من قبل صاحب المطعم، رفضه استيفاء أجور الطعام من الانتحاري «كل هذه المواقف تعد من المسكوت عنه، من هنا تلد الكوميديا السوداء التي من شأنها نقد الظواهر السلبية برغبة من القاصة إلى التصحيح.

وفي مجموعة «الانتحاري والفول» سعت القاصة «رحيمي» أن تتحدى راكبة موجة عاتية قد تودي بها لو كان هناك من يقرأ ما وراء السطور، محاولة أن تجعل من الأسلوب الساخر مطية، توصل من خلالها لأمور تؤرقها وتشكل ظواهر غاية في التخلف لا تستطيع البوح بها ألا بهذه الطريقة التي تتسم بالسلاسة والعمق في آن واحد، التي تلمح أكثر مما تفصح عن نواياها المستترة في توجيه نقد موارب للمجتمع وبعض سلوكيات أفراده غير السوية، وهكذا التجأت القاصة في قصة» قصة الساحرة، الكرسي الأخير «فقد وظفت الساحرة لنقد ظاهرة الطبقية الاجتماعية بأسلوب الى الدخول الى عالم السحر

والشعوذة فكريمة البطلة بهلوانية ساحرة تعاني الضياع والتشرد وكريمة ليست شخصية قصصية وحسب بل هي ظاهرة قائمة في كل مجتمعاتنا العربية على وجه التحديد والتي تؤمن بـ (الساحرة، الكشافة، قارئة الفنجان، ضاربة الودع ...) وما الى ذلك مما يزيد المجتمعات تجهيلا .

ولنستمع للمزيد لنؤكد على أن القاصة قد استحضرت كل الظواهر والسلوكيات الشاذة التي اصابت المجتمعات بالانحطاط من قوتين خارجية وداخلية غايتها الهيمنة على العقل واستلاب ما بعده .

لم يسمع ما قاله «الفوال، » كان في حالة تقيؤ شديدة.. انتفخ بطنه.. الحزام يشد معدته وصدره حتى الاختناق.. شعر بحاجة ملحة لقضاء حاجته.. لا يوجد مرحاض في دكان الفول.. ماذا يفعل.. خرج وهو يتلوى ألما .. ارتمى أرضا في زاوية زاروب ضيق إلى جانب كومة من القمامة، المغص يمزق أحشاؤه... أخذ يخور كالبقرة عند ذبحها.. نسي الحزام.. الألم أطاح بحواسه.. أنساه الجنة وما فيها.. انقلبت كل أحلامه إلى شيء واحد، الدخول إلى المرحاض.. يبدو الفول مسموما..! انفجرت معدته.. تبللت ثيابه، غرق بأقذاره.. أصبح مقرفا كجرذ ميت.. الرائحة النتنة تفوح منه كلما أقترب أحد المارة لمساعدته، يسد أنفه ويولي هاربا..

صور متلاحقة متماسكة مع بعضها وحبكة ذكية واعية لاتسمع بالتشتت لذهن القاريء بل تمسك بتلابيبه حتى النهاية وكأنني أتلمس

أكثر من «ذروة واحدة «في هذه القصة التي اشرنا في الاولى الى تمكن المتطوع من انجاز ما درب عليه في قطع الرؤوس وهنا الحال التي وصل اليها الانتحاري من وراء تناوله «الفول» وما حاق به ليكشف قبل أن يفجر جسده النتن والذي تحول الى «جيفة» يهرب منها الناس قبل التمكن من إنقاذه .

في هذا المقطع ادانات عديدة منها» إدانة الفقر، إدانة الإرهاب، إدانة العاملين على النظافة، إدانة القائمين على صحة الإنسان و...و الخ من الانتقادات اللاذعة ولسنا بحاجة لتدليل على الرؤية الثاقبة للقاصة والتصاقها بهموم الإنسان ورب سائل كيف واين هي الادانة نقول: «**لا يوجد مرحاض في دكان الفول» وإدانة أخرى» ارتمى أرضا في زاوية زاروب ضيق إلى جانب كومة من القمامة» وإدانة واضحة للفكر التكفيري الهمجي المنطلق من رؤية دينية «نسي الحزام..الألم أطاح بحواسه.. أنساه الجنة وما فيها»**

كل هذه الصور إنما هي صرخات واعية بوجه الظلم الذي يتوجه به الإنسان لأخيه لا علاقة للرب بما نفعل نحن نصطرع من اجل توافه فيقتل بعضنا بعضا دون أي وازع من ضمير ولا أخلاق «كيف تجمعت القمامة لماذا لا يوجد مجمع صحي بالمطعم أين هي الجنة في رأس الانتحاري ومن أدخلها كل هذه الأسئلة الكبيرة أجابت عليها القاصة بسخرية سوداء

شكلت تجديدا في أسلوب القص عمل عليه الكثير من كتاب القصة خصوصا في المغرب العربي ولكن للحق أقول: أن حنان رحيمي الأكثر جرأة من بين مجموعة القصص التي قرأتها وهي تتخذ ذات المنهج .

أقول أنا مع ما ذهب إليه الدكتور أبو القاسم دادفر وهو أستاذ في جامعة آزاد الإسلامية في قوله:» والسخرية مرآة صادقة للحقيقة من ناحية كما أنها طريق للتعبير عن الاضطرابات، والمساوئ، والسيئات، ومعايب الفرد والمجتمع من ناحية أخري. ومن هذا المنطلق يدافع الأديب الساخر عن القيم الإنسانية إذ يدافع عن المعنويات في عصره ذائدا عنها عدم استقرارها، حاثا المشاعر الإنسانية ضد الخوف، والخرافات، والأولام مشيرا إلي مواضع الظلم حافزا علي الفهم كما أنه يوجّه أحاسيس الإنسان نحو الآلام واكتشاف مواضعها، مكرّما تقوي الضمير. والأديب الساخر يمتلك ظرافة تقدر علي إضحاك الباكي الحزين المصاب بالآلام تأكيدا علي ما يعانيه من تلك الآلام». وهنا يجب علي الأديب الساخر أن يقوم بنقل فكرته بأبسط الطرق وتحقيقا لهذا الغرض يلجأ إلي الموازنة بين النقائض حيث يجعل المحاسن أمام المساوئ، والجمال أمام القبح، والسمعة الحسنة أمام نقيضها، والموت أمام الحياة العذبة، ويرفع رايات غضبه موجّها سهام غضبه وسخريته نحو كلّ ما اصطبغ بصبغة القبح والرذيلة[1].

(1) د. يوسف الشاروني: القصة القصيرة – ص67 .8 – الانتحاري والفول، ص38

وتتجسد الرؤية أعلاه في قصة الساحرة «

هرعت وكأنها تذكرت شيئاً هاما، عادت تحمل في يدها علبة سجائر

قائلة: ما رأيك ان نتسلى ببعض الألعاب السحرية؟

- سحر؟.. كيف؟

- نعم سحر.. ألا تعلم بأنني كيكي الساحرة..!

- ساحرة؟..!

سأضع هذه السيجارة المشتعلة بشعرك.. وسترى كيف ستختفي.

ارتعب:

- يبدو أنك مجنونة.. أريد العودة إلى غرفتي.

- لا تخف، أنت رجل، فهل يخاف الرجال؟.. إنها لعبة خ ّفة لا تؤذي

قدمت هذه الصورة سخرية هجائية تلعن الخرافة وتلعن الطبقية الاجتماعية وتهزأ بالمشاعر الحقيقية للانسان تحدثت تماما عن الجوانب القبيحة والسلبية للحياة كما صوّرت معايب المجتمع، ومفاسده، والحقائق المرة التي لا يراها إلا الأدباء من خلال تعايش حقيقي وسط المجتمع والاطلاع المباشر على ما يؤرقه ويستهلكه ويسلبه حقوقه الطبيعية في العيش الكريم اسوة ببقية المجتمعات المتحضرة .

(سحر، العاب سحرية، خوف الشاب من السحر ..) صور سلبية قدمتها القاصة كنقيض لما يجب أن يسود فالسحر خدعة وضحك على الذقون ولا شك ان المجتمع الذي يعتاش على السحر مجتمع متخلف.

ثمة صورة أخرى على الضياع والتشرد وانعدام الأهمية للوقت تقول كريمة بطلة قصة الساحرة للشاب ابن الأغنياء الذي ترعاه وتعمل على فك عقدته الاجتماعية:

نتسكع؟..! كيف ذلك يا «كيكة..»

- نخرج دون أن نحدد وجهة سيرنا، لا نلتزم بموعد عودتنا، المكان الذي يعجبنا نتوقف عنده، عندما نجوع نأكل

هذه الصورة الصادمة هي تعبير عن التشرد الحقيقي في المجتمع هكذا هم أولاد الأثرياء وان كانوا معاقين لايقف في طريق سعادتهم شيء والمال موفور والخدم بابخس الأثمان فما قيمة الوقت عندهم؟

وعلى هذا أقول أن القاصة وفي كل القصص التي تضمنتها المجموعة اشتغلت على الاسس الرصينة للقص ولكنها ركزت وبأسلوب نادر على السخرية السوداء ومن خلال التثوير الواعي للحدث القصصي . وأسلوب السخرية الاجتماعية الموغلة في السوداوية فالسخرية الاجتماعية الغنية «الانتحاري والفول» وصلت إلي هذا الغناء بسبب

الخزين اللغوي لدى القاصة والأسلوب الشعري التي جاءت عليه الجمل المشكلة للبنية الكلية للخطاب السردي، لأنها تجمع جميع العناصر اللازمة، كالتصريح بالعيوب الاجتماعية، والتنبيه على مواطن الضعف في المجتمع، والابتعاد عن اللغو او الحشو الذي لامبرر له او السرد الجانبي الذي يعمل احيانا على تشتيت ذهنية المتلقي، وجاءت السخرية دون هجو لاحد بل هي صرخات متتابعة بوجه ظواهر سلبية موروثة ومستحدثة وكل قصة من تلك القصص مثلت جانبا مهما من جوانب الحياة الاجتماعية ونقدا تقويميا هادفا، فالقصة من آلات النضال الاجتماعي، والوقوف ضدّ الظواهر الدخيلة على المجتمع .

إن جانب الإضحاك في قصص حنان رحيمي هو بكاء بطريقة مستحدثة فإن ضحك المتلقي فقد بكى بمرارة في داخله .

على أن هذه القصص الواردة قد شكلت ظواهر اجتماعية سائدة وضعت القاصة من خلالها يدها على جراح المجتمع وحري بها ان تدرس لأنها تشكل رافدا من روافد الإصلاح الاجتماعي إذا صح التعبير وهي الماعات ذكية في باب القص الملتزم والمتحري عن عذابات إنسان اليوم .